السنة الخامسة بعد المئة

فيها قطع مسلم بن سعيد والي خُراسان النهر إلى التُّرك، وأوغلَ في البلاد حتى وصل أفْشِينَة ـ مدينة من مدائن الصُّغد[١] ـ فصالَحَه ملكُها على مال وستة آلاف رأس، وعاد ليقطع النهر، فتبعه نفر من التُّرك، فلم يظفروا منه بطائل.

وفيها غزا الجرَّاح بنُ عبد الله الحَكَمي ـ وكان على أرمينية وأذربيجان ـ فأوغلَ في بلاد اللَّان، وجاوز بَلَنْجَر[٢]، ففتح حصوناً كثيرة، وأصاب غنائم عظيمة.

وفيها غزا سعيد بنُ عبد الملك بنِ مروان بلادَ الروم، فقتلَ وسبى، وبعث سرية في ألف فارس، وأوغلُوا في بلد الروم، واشتغلوا بالنهب، ولم يحفظوا المضائق، ولم يَدَعُوا عليها رجالاً، فلما عادوا إلى الدَّرْب وجدوا العدوّ قد أخذ عليهم [المضيق]، فيقال: إنهم قد أُصيبوا جميعاً[٣].

وفيها توفي يزيد بن عبد الملك، ووَلِيَ أخوه هشام.

الباب العاشر

في ولاية هشام بن عبد الملك بن مروان[٤]

ومولدُه سنة اثنتين وسبعين بدمشق في العام الذي قُتل فيه مصعب، وكنيتُه أبو الوليد، وهو من الطبقة الرابعة من أهل الشام.

وأمُّه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقيل: اسمها فاطمة، وقيل: مريم[٥]، وكنيتها أمُّ هشام.

---

(١) الصُّغْد ـ أو السُّغْد ـ ناحية كبيرة فيها قرى كثيرة بين بُخارى وسمرقند، وقصبتها (أي: مدينتها) سمرقند (وتردَّد ذكرها فيما سلف). وأفْشِينة: موضع وراء نهر الصُّغْد، كما في «الروض المعطار»ص ٣٢٢، وسماها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ١/ ٢٣١ أفْشِنَة، وينظر فيه أيضاً ٣/ ٢٢٢ .

(٢) اللَّان: بلاد واسعة في طرف أرمينية، وبَلَنْجَر: مدينة ببلاد الخَزَر (بلاد الترك) خلف باب الأبواب (مدينة على بحر قزوين). ينظر «معجم البلدان» ١/ ٤٨٩ و٢/ ٣٦٧ و٥/ ٨ ـ ٩ .

(٣) ينظر «تاريخ» الطبري ٧/ ٢١ ، و«المنتظم» ٧/ ٩٦ . وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٤) في (ص): فصل في ولاية هشام.

(٥) بعدها في (خ) (والكلام منها): وقيل رهب(؟) وينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٠ .

[قال هشام:] وكانت حمقاء، تركبُ الوسائد وتزجرُها مثل الخيل، وتعمل من الكُنْدُر[١] تماثيل على صورة الجواري، وتُسمِّي كلَّ تمثال باسم جارية، وتنادي: يا فلانة ويا فلانة. فطلقها عبد الملك لحمقها. وقيل: كانت أشجعيَّة. ولما سار عبد الملك لقتال مصعب بن الزُّبير كانت حاملاً به، فقُتل ابنُ الزبير ووضعته أمُّه، وبلغَ عبدَ الملك، فسمَّاه منصوراً تفاؤلاً، وسمَّتْه أمُّه هشاماً باسم أبيها، فلم ينكر عبدُ الملك ذلك[٢].

وكان يزيد بن عبد الملك قد عهد إليه، ثم بايع بعده لولده الوليد بن يزيد، فلما بلغَ الوليدُ؛ ندم يزيد، وأراد هشاماً أن يكون بعد الوليد بن يزيد، فامتنع، وكان مسلمةُ هو الذي أشار على يزيد[٣]... وكان عُمر الوليد يومئذٍ اثنتي عشرة سنة، وقيل: إحدى عشرة سنة. فلمَّا بلغ الوليد كان أبوه إذا رآه قال: الله بيني وبين مَنْ جعلَ هشاماً بيني وبينك. يعني مسلمة[٤].

ثم شرع يزيد بن عبد الملك في خلع هشام وتولية الوليد قبله، فأدركه الموتُ[٥]، وكان هشام بعيداً عنه بالرُّصافة بمكان يقال له: الزيتونة، فيه قصورُه، [و] جاء البريد بالخاتم والقضيب، فركب إلى دمشق وهو يومئذ ابن أربع ـ أو ثلاث ـ وثلاثين سنة[٦].

ذكر بيعته:

بويع في شعبان سنة خمس ومئة، ولم يل أربعة إخوة الخلافة غير بني عبد الملك: الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام.

---

(١) هو ضرب من العِلْك. (القاموس: كندر).

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٠ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٥ .

(٣) في (خ) (والكلام منها): على يزيد بن الوليد بن يزيد. وفي هذا الكلام سقط. وتمام الكلام أن مسلمة بن عبد الملك هو الذي أشار على يزيد بن عبد الملك بولاية العهد لهشام بن عبد الملك، ثم من بعده لابنه الوليد بن يزيد. ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٢ و٤٧٦ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٠٩ ، و«العقد الفريد» ٤/ ٤٤٢ ، و«الأغاني» ٧/ ٣ ، و«المنتظم» ٧/ ٦٦ .

(٤) المصادر السابقة.

(٥) لم أقف على من ذكر هذا.

(٦) تاريخ الطبري ٧/ ٢٥ ، والكامل ٥/ ١٢٤ .

[قال الواقدي:] وكان أحولَ ظاهرَ الحَوَل، ويلقَّب بالأحول المشؤوم[١].

وكان عبد الملك قد رأى في منامه أنَّ أمَّ هشام لَطَعَتْ رأسَه[٢] عشرين لَطْعَةً، فبعث إلى ابن المسيِّب فسأله، فقال: تلد غلاماً يملك عشرين سنة.

[قال المسعودي:] ولما وَلِيَ هشام عرض الجند، فمرَّ به رجلٌ تحته فرس نَفُور، فقال له هشام: ما حملك على أن تركبَ هذا؟ فقال: ما فرسي بنفور، ولكنه رأى حَوْلَتَك، فظنَّها عين عَزون[٣] البيطار، وكان عَزون كأنَّه هشام في حَوْلَته، فقال له هشام: لعنك الله ولعن فرسك. وتضاحك الناس.

[قال المسعودي:] وهشام أوَّلُ من رفع تقبيل الأرض واليد من الخلفاء؛ لمَّا بُويع دخل عليه رجلٌ فقبَّل الأرض، ومال إلى يده ليقبِّلَها، فقال [له] هشام: مه، إنه لا يَفعلُ هذا من العرب إلا الهَلُوع، ومن العجم إلا الخَضُوع، من عادَ لمثله أوجَعْتُه ضرباً. فانتهى الناس[٤].

[قال أبو القاسم الدمشقي:] وكانت دار هشام بدمشق عند الخوَّاصين اليوم، وبعضُها مدرسةُ نور الدين ابن زنكي رحمه الله[٥].

[قال:] وكان طرازه وثيابُه تُحمل على تسع مئة جمل[٦] [ومعناه: خزائنه، لا ملبوس بدنه].

---

(١) ينظر «الأغاني» ٧/ ٩، وفيه قول الوليد بن يزيد في هشام: هذا الأحول المشؤوم.

(٢) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٣١٨ (والخبر فيه): «فلقت رأسه، فلطعت منه عشرين لطعة». ومعنى لطعت: لَحِسَتْ.

(٣) في مطبوع «مروج الذهب» ٥/ ٤٧٦ (والخبر منه كما ذكر المصنف): غزوان. وفي «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٢٠ (والخبر فيه بنحوه): أبو جيرون. وجملة «قال المسعودي» السالفة بين حاصرتين من (ص).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٨/ ٧١ (طبعة مجمع دمشق) مختصراً في ترجمة عَقَّال بن شَبَّة. ولم أقف عليه عند المسعودي في «مروج الذهب». وما سلف بين حاصرتين من (ص).

(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٧/ ٩٧. وترجمة هشام بن عبد الملك وقعت ضمن خرم من «تاريخ دمشق» لذا لم أُحِلْ عليه.

(٦) المصدر السابق ٢٧/ ٩٨، والكلام الآتي بين حاصرتين من (ص). ثم لم يرد فيها الكلام بعده إلى آخر ترجمة عكرمة مولى ابن عباس.

وكان لا يلتفتُ إلى أولاد عمر بن عبد العزيز، ويُظهر أنه يَرْضَى لهم ما رضيَ لهم أبوهم، وفي باطنه العداوةُ لأبيهم[١].

ولما وَلِيَ عَزَلَ عُمرَ بنَ هُبيرة عن العراق وخُراسان وولاياته كلِّها، وولَّى ذلك خالدَ ابنَ عبد الله القَسْري في شوَّال. وقيل: إنما فعل ذلك في سنة ستٍّ ومئة[٢].

وفيها أقام هشام الحَلْبَةَ للخيل، فكانت عشرةَ آلاف[٣] فرس له ولغيره، ولم يجتمع مثلُ ذلك في جاهليَّة ولا إسلام، وأقام على ذلك مدَّةَ خلافتِه، وكانت الحَلْبَةُ كلَّ يوم في زيادة.

وفيها أمر بحفر القُنِيّ[٤] والآبار والمصانع[٥] بين مكة والمدينة والشام، وأجرى فيها المياه.

وفيها قتل هشامٌ غَيْلانَ القَدَرِيّ[٦].

وحجَّ بالناس عبد الواحد بن عبد الله النَّصْري[٧] وهو على مكة والمدينة. وقيل: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي[٨]، وخطب بالناس بمكة قبل الظهر[٩] قبل يوم التروية، فعابَه الناس، ونسبوه إلى الجهل، فقال: عطاءُ بنُ أبي رباح أمرني بهذا. وبلغ عطاء، فقال: ما أمرتُه.

---

(١) المنتظم ٧/ ٩٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٦ (في أحداث سنة ١٠٥)، وسيذكره المصنف أول سنة (١٠٦).

(٣) في «مروج الذهب» ٧/ ٤٦٦ : أربعة آلاف.

(٤) جمع قَناة، وهي الآبار التي تُحفر في الأرض متتابعة ليُستخرج ماؤها ويسيح على وجه الأرض. «النهاية» (قنا). وجاء في سياق آخر في «مختصر تاريخ دمشق» ٢٧/ ٩٨ أن هشاماً هو الذي حفر الهنيَّ وعمله. والهَنِيُّ والمَرِيُّ: نهران بإزاء الرقة والرافقة، ذكرهما ياقوت في «معجم البلدان» ٥/ ٤١٩ .

(٥) جمع مصنع، وهو شبه الحوض. يجمع فيه ماء المطر ونحوه.

(٦) كذا وقع الكلام في (خ) مختصراً والكلام منها فقط، وسترد ترجمتُه بعد ترجمتين.

(٧) في (خ) (والكلام منها): الأنصاري، وهو خطأ.

(٨) في «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٦، و«الكامل» ٥/ ١٢٦ أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل هو الذي حجّ بالناس في هذه السنة (يعني سنة ١٠٥)، والنصري على مكة والمدينة.

(٩) في (خ) (والكلام منها): بعد الظهر، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٦ ، و«الكامل» ٥/ ١٢٦ . وسترد له قصة بنحوها أواخر أحداث سنة (١٠٩) (قبل التراجم).

وكان العاملَ على مكة والمدينة والطائف عبدُ الواحد النَّصْري[١]، وعلى العراق عُمر بن هُبيرة، وقيل: خالد القسري، وكان على قضاء الكوفة حسين بن حسن الكِنْدي، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس[٢].

وفيها توفِّي

الحَكَم بن عُتيبة

كنيتُه أبو عبد الله، من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل الكوفة، كان مولًى لكِنْدَة.

وُلد هو وإبراهيم النَّخَعي في سنة واحدة.

وكان في أصحابه مثلَ الزُّهْريّ في أصحابه، وكان عالماً رفيعاً كثيرَ الحديث، أبيض الرأس واللحية.

توفّي بالكوفة سنة خمس ومئة، وقيل: سنة خمس عشرة ومئة[٣].

عكرمة مولى ابن عباس

كنيتُه أبو عبد الله، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة.

كان عبداً لابن عباس، أصلُه من البَرْبَر، وكان لحُصَيْن بن أبي الحُرّ العنبري، فلما وَلِيَ ابنُ عباس البصرة لعليٍّ عليه السلام؛ وهبَه له، فقبلَه ابنُ عباس منه[٤].

ومات ابنُ عباس رضي الله عنه وعكرمةُ عبدٌ، فبِيع، فاشتراه خالد بن يزيد [بن معاوية] من عليّ بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار، فبلغَ ذلك عكرمةَ فأتى عليّاً، فقال له: بعتَ علم أبيك بأربعة آلاف دينار! فراح إلى خالد بن يزيد فاستقالَه، فأقالَه، فأعتَقَه عليّ[٥].

---

(١) في (خ): البصري، وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٨ : النضري، وكلاهما خطأ.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٨ ، والكامل ٥/ ١٢٦ .

(٣) وهو الأصحّ كما ذكر الذهبي في «تاريخ الإسلام» ٣/ ٢٢٥ . ولم أقف على من ذكر أن وفاته سنة خمس ومئة، وذُكر في المصادر في وفاته السنوات (١١٣) (١١٤) (١١٥). وتنظر ترجمته في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٤٥٠ـ٤٥١ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٠٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٢ـ٢٨٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٢. وما سلف بين حاصرتين منهما للإيضاح.

وقال عكرمة: كان [ابن عباس] يجعلُ في رجلي الكَبْلَ يعلِّمُني القرآن ويعلِّمُني السنة[١].

وقال: قرأ ابنُ عباس: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] قال: قال ابن عباس: لم أدرِ نجا القومُ أم هلكوا. فما زلتُ أُبيِّنُ له أُبَصِّرُه حتى عرفَ أنهم قد نَجَوْا. قال: فكساني حُلَّة[٢].

وكان عمرو بن دينار يسمي عكرمة: البحر؛ لغزارة فضله[٣].

وقال سعيد بن جُبير: لو كفَّ عكرمة عنهم من حديثه لشُدَّتْ إليه المَطَايا[٤].

سئل عكرمة عن يوم القيامة: أمِنْ أيَّامِ الدنيا، أم من أيام الآخرة؟ فقال: صدرُه من أيام الدنيا، وآخِرُه من أيام الآخرة[٥].

ذكر وفاته:

توفّي سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة؛ مات هو وكُثَيِّر عَزَّة في يوم واحد، وصُلِّيَ عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات اليوم أفقهُ الناس وأشعرُ الناس[٦].

وعجبَ الناس لاجتماعهما في الموت، واختلافِ رأيهما؛ عكرمة، يُظَنُّ أنه يرى رأيَ الخوارج، يكفِّر بالنظرة، وكُثَيِّر شيعي يقول بالرجعة[٧].

وقيل: سنة ستٍّ ومئة، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ثمان وهو ابن أربع وثمانين سنة[٨].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٠ . وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٣ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٤ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢١٣ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٤ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢٣٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٣٠ .

(٦) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٨ ، وتاريخ دمشق ٤٨/ ٢٥٤ .

(٧) المصدران السابقان.

(٨) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ٢٨٩ ، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ٢٥٤ ـ ٢٥٧ . قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٤ : الأصحّ سنة خمس.

روى عن ابن عباس، وأبي هريرة، والحسين بن عليّ، وعائشة، ﷺ، وقال: أدركتُ في هذا المسجد ـ يعني في مسجد المدينة ـ مئتين من الصحابة.

وقد روى عن ابن عمر، والحسن بن علي، وأبي سعيد الخُدري، وروى عنه خلقٌ كثير من علماء الأمصار.

وقال موسى بن يسار: رأيتُ عكرمة جائياً من سمرقند ومعه غلام وسمعتُه وهو بسمرقند وقيل له: ما أقدمَك إلى هذه البلاد؟ فقال: الحاجة[١].

وكان لا يقبل إلا من الأمراء، وحمله طاوس اليماني على نجيب ثُمِّن بستين ديناراً[٢].

واختلفوا فيه، فضعَّفه قوم، ووثَّقه آخرون؛ قال ابن سعد: كان عكرمة كثيرَ العلم، بحراً من البحور، وليس يُحتجُّ بحديثه، وتكلَّم الناس فيه[٣].

وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزُّبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، فطلبه بعض ولاة المدينة فتغيَّب عند داود بن حُصين، فمات عنده[٤].

سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فقيل له: أيُحتجُّ بحديث عكرمة؟ قال: نعم[٥].

غَيْلان القَدَرِيّ

[ذكره أبو القاسم بن عساكر[٦]، فقال: هو غَيْلان بن يونس، وقيل: ابن مسلم بن أبي غيلان] مولى عثمان رضوان الله عليه، كانت دارُه بباب الفراديس بدمشق شرقيَّ المقابر، وكنيتُه أبو مروان، وكان كاتباً ويقول بالقَدَر.

---

(١) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٢٤ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٤٨/ ٢٢٤ و٢٢٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٨ .

(٤) تاريخ دمشق ٤٨/ ٢٥٢ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) المصدر السابق ٤٨/ ٢٣٢ . ومن قوله: وكان لا يلتفت إلى أولاد عمر (أواخر فقرة ولاية هشام) إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٦) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٢٠ (طبعة مجمع دمشق).

قال الشعبيّ: دخل غَيْلانُ على عُمر بن عبد العزيز ﷺ وهو مصفارّ اللون، فقال له عمر: ما الذي بك؟ فقال: أمراضٌ وأحزان. فقال: لَتَصْدُقَنِّي. فقال: ذُقْتُ حُلْوَ الدنيا، فوجدتُه مرّاً، فأسْهَرْتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكلُّ ذلك حقير في جنب ثواب الله وعقابه. فقال له عمر: ويحك، ومع هذا تقول بالقَدَر! ارْجِعْ. فرجع وتاب.

فقال عمر ﷺ: اللهمَّ إن كان صادقاً فاقبَلْ توبتَه، وإن كان كاذباً فسلِّطْ عليه من يقطع يديه ورجليه ولسانه، واجْعَلْه عبرةً للعالَمين.

فلما مات عُمر أظهر ما كان يُبطن[1].

[قال المدائني:] فاستدعاه هشام بنُ عبد الملك وقال له: ويحك يا غَيْلان! قد أكثر الناسُ فيك، فعرِّفْنا مذهبك، فإن كان حقّاً اتَّبعناك، وإن كان باطلاً نزعنا عنك. قال: أوَتُعفيني؟ قال: لا أُعفيك[2].

وكان غَيْلان يقول: إن معاصي العباد خلقٌ لهم، وإن الله لا يقدِّرها عليهم. فأُخبر هشام، فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه، ففُعل به ذلك، وأُلقِيَ على مَزْبلة؛ فمرَّ به رجل، فقال: يا غَيْلان، هذا قضاءُ الله وقَدَرُه. فأومأ إليه وقال: كذبتَ، ما هذا قضاءَ الله وقدرَه، هذا قضاء هشام. ثم أمر به هشام فصُلب[3].

وقال عمر بن المهاجر صاحب عمر بن عبد العزيز: وقفتُ عليه وقلتُ له: أدركَتْكَ دعوةُ العبدِ الصالح عمر؟ فأومأ برأسه، أي: نعم[4].

وقيل: إن غَيْلان كان يقول وهم يمثِّلون به: أدركَتْني دعوةُ العبد الصالح.

وكان غَيْلان يبسط لسانَه في بني أمية ويعيب عليهم.

واجتمع جماعة عند هشام بن عبد الملك فقال: ما تقولون فيما فعلنا بغَيْلان؟ كأنه حكَّ في نفسه شيء. فقالوا: يا أمير المؤمنين، لَقَتْلُكَ غَيْلانَ أفضلُ من قتلِ ألفٍ من التُّرك والروم[5].

---

(١) لفظ الخبر من أكثر من رواية في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٤٢١ و٤٢٩ و٤٣٢.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٣٣٢ـ٣٣٣.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٤٣٨ـ٤٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) المصدر السابق ص ٤٣١.

(٥) ينظر المصدر السابق ص ٤٤٥ـ٤٤٦.

كُثَيِّر [ابن عبد الرحمن][1] بن الأسود

ابن عامر بن عُويمر بن مَخْلَد الشاعر، كنيتُه أبو صخر، [الخُزاعي] الحجازي[2]، ويُعرف بابن أبي جُمْعَة جدِّه لأمِّه، وأمُّه جُمْعة بنت الأشيم بن خالد[3]. وقيل: جمعة بنت كعب بن عَمرو[4]، من الطبقة الثالثة من الشعراء من أهل المدينة، وكان شيعيّاً، وكان يفدُ على بني أمية؛ عبدِ الملك، والوليدِ، وسليمان، وعُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ويزيد بن عبد الملك.

وقال ابن ماكولا: كان يتنقَّل في المذاهب[5].

وكان من فحول الشعراء، ورد كتابٌ من الشام إلى مكة بلعن أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه على المنبر، فسمعهم كُثَيِّر، فقام وأخذ بأستار الكعبة [وقال:]

لعنَ اللهُ من يَسُبُّ عليّاً ... وبنيه من سُوقَةٍ وإمامِ
أيُسَبُّ المُطَهَّرون أصولاً[6] ... والكِرامُ الأخوالِ والأعمامِ
يأمن الطيرُ والوحشُ ولا يَأْ ... مَنُ آلُ الرسولِ عند المقامِ!

فضربوه حتى أثخنوه[7].

وكان عند يزيد بن عبد الملك وقد أُتِيَ بآلِ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة [فقال:]

حليمٌ إذا ما نالَ عاقبَ مُجْمِلاً ... أشدَّ العقابِ أو عفا لم يُثَرِّبِ[8]

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر. ولم ترد هذه الترجمة في (ص).

(٢) في (خ) (والكلام منها): الغفاري، والمثبت من «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٢٨٧ (طبعة مجمع دمشق)، ولفظة «الخزاعي» بين حاصرتين منه، ومن المصادر.

(٣) الأغاني ٩/ ٣ـ٤ .

(٤) المنتظم ٧/ ١٠٣ ، ولم أقف على هذا القول عند غيره.

(٥) الإكمال ٧/ ١٦١ ، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٢٨٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٦) في (خ) (والكلام منها): إماماً، بدل: أصولاً. والمثبت من «المنتظم» ٧/ ١٠٣ .

(٧) المنتظم ٧/ ١٠٣ ، ولفظ «وقال» السالف بين حاصرتين منه. والأبيات بنحوها في «نسب قريش» ص ٦٠ ، و«معجم الشعراء» للمرزباني ص ٢٤٠ ، ونُسبت فيهما لكَثِير بن كَثِير بن عبد المطلب.

(٨) ثَرَّب عليه: قَبَّحه وعيَّره. قال المرزوقي في «شرح الحماسة» ٤/ ١٧٥٨ : إذا نال الجانيَ عليه عاقبه وهو مُجمِلٌ، أي: لا يشتطّ ولا يسرف، ولكن ينهج طريق العدل في الانتقام.

فَعَفوٌ[١] أميرَ المؤمنين وحِسْبَةٌ فما تَحْتَسِبْ من صالحٍ لك يُكْتَبِ
أساؤوا فإنْ تغفِرْ فإنَّك أهلُه وأفضلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

فقال له يزيدُ بنُ عبد الملك: أَطَّتْ بكَ الرَّحِم، ولولا قَدْحُهم في المُلك لعفوتُ عنهم[٢].

دخل كُثَيِّر على عبد الملك، فقال له: أنشدني في الإخوان. فأنشده:

خيرُ إخوانِك المشاركُ في المُـ ـرِّ وأينَ الشريكُ في المُرِّ أَيْنا
الذي إنْ حَضَرْتَ سَرَّك في الحَـ ـيِّ وإنْ غِبْتَ كان أذْناً وعَيْنا
ذاك مثلُ الحُسام أَخْلَصَه القَيْـ ـنُ جَلاءً فازدادَ حُسْناً وزَيْنا
أنتَ في معشرٍ إذا غِبْتَ عَنهُمْ بدَّلُوا كلَّ ما يَزِينُك شَيْنا
وإذا ما رأَوْك قالوا جميعاً أنتَ مِنْ أكرمِ الرِّجالِ علينا

فقال له عبد الملك: يغفرُ الله لك يا كُثَيِّر، فأينَ الإخوان؟ غير أني أقول:

صديقُك حين تستغني كَثِيرٌ وما لَك عند فَقْرِكَ من صديقِ
فلا تُنكِرْ على أحدٍ إذا ما طوى عنك الزيارةَ عند ضِيقِ
وكنتُ إذا الصَّدِيقُ أرادَ غَيْظِي على حَنَقٍ وأشْرَقَني بريقي
غَفَرْتُ ذنوبَه وصَفَحْتُ عنهُ مخافةَ أنْ أكونَ بلا صديقِ[٣]

دخل كُثَيِّر على عبد الملك، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

على ابنِ أبي العاصي دِلاصٌ حَصِينةٌ أجاد المُسَدِّي نَسْجَها وأذَالَها[٤]

فقال له عبد الملك: هلاَّ قلتَ كما قال الأعشَى لابن معدي كَرِب:

وإذا تجيءُ كتيبةٌ ملمومةٌ شهباءُ يخشى الذَّائدون نِهالَها

---

(١) كذا في (خ)، و«أنساب الأشراف» ٧/ ٢٨٢، و«المنتظم» ٧/ ١٠٧. وفي «شرح الحماسة» للمرزوقي ٤/ ١٧٥٨، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤٠١ (مصورة دار البشير ـ ترجمة الضحاك بن رمل): فعفواً. وهو الأشبه.

(٢) الخبر بنحوه في المصادر السابقة. وقوله: أَطَّتْ، أي: حَنَّتْ. نقله ابن الجوزي في «المنتظم» ٧/ ١٠٧ عن أبي بكر ابن الأنباري.

(٣) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٩٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) الدِّلاص: الدِّرْع الليِّنة، والمُسَدِّي: الذي يُسَدِّي الدِّرع أي: ينسجها، وأذالَها، أي: أطال ذَيْلها.

كنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ[١] بالسيفِ تضربُ مُعْلِماً أبطالَها

فقال له كُثَيِّر: ذاك إنما وصَفَه بالخُرْق، وأنا وصَفْتُك بالحَزْم[٢].

قال عبد الملك لكُثَيِّر: سَلْ حوائجَك. فقال: تُزوِّجُني عَزَّة. فأرسل إليها، فقالت: أبَعْدَ ما شبَّبَ بي وفضحني في العرب، لا كان ذلك أبداً. وماتَتْ قبلَه[٣].

قيل لكُثَيِّر: ما بقيَ من شعرك؟ قال: ماتَتْ عَزَّة فما أطرب، وذهبَ الشبابُ فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب، وإنما ينشأ الشعر من هذه الخِلال[٤].

وأراد بابن ليلى عبد العزيز بن مروان، وقيل: بشر.

ذكر طرف من أخبارهما:

كان أولُ عشقه لها أنه مرَّ بنسوة من بني ضَمْرَة ومعه غنم، فأرسَلْنَ إليه عَزَّة وهي صغيرة، فقالت: يَقُلْن لك النِّسوة: بعنا كبشاً نسيئةً إلى حين تعود. فأعجبَتْهُ، فأعطاها كبشاً، فلما عاد جاءت امرأةٌ منهنَّ إليه بدراهمه، فقال: أين الصَّبِيَّة التي أخذَت الكبش مني؟ قالت: ما تصنعُ بها؟ هذه دراهمُك. فقال: لا والله، لا آخذُ الدراهم إلا ممَّن دفعتُ إليها الكبش. ولم يأخذ شيئاً، وقال:

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غريمَهُ وعَزَّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

نظرتُ إليها نظرةً ما يسرُّني بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها[٥]

وقال الزُّبير بن بكَّار: خرج كُثَيِّر يلتمس عَزَّة ومعه شَنٌّ[٦] فيه ماءٌ، فضربه الحَرُّ، فيَبِس، فلاحَ له كوخٌ، فقصَدَه، فإذا فيه عجوزٌ، فقالت: مَنْ أنت؟ فقال: كُثَيِّر. قالت:

---

(١) الجُنَّة: الدِّرْع.

(٢) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٩٩ـ٣٠٠ (طبعة مجمع دمشق).

(٣) بنحوه في «المنتظم» ٧/ ١٠٤.

(٤) عيون الأخبار ٢/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٣٢٥. وبنحوه في العقد الفريد ٥/ ٣٢٦.

(٥) الأغاني ٩/ ٢٥ـ٢٦، والمنتظم ٧/ ١٠٥ـ١٠٦.

(٦) الشَّنُّ: القِرْبَةُ الخَلَقُ الصغيرة يكون فيها الماء أبردَ من غيرها. ووقع في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣١٦ و«المنتظم» ٧/ ١٠٦: شُنَيْنة (تصغير شَنَّة، وهما بمعنى).

قد كنتُ أتمنَّى لقاءَك، فالحمدُ لله الذي أرانيك. فقال لها: وما الذي تلتمسينه منّي؟ قالت: ألستَ القائل:

إذا ما أتَتْنا خُلَّةٌ كي تُزيلَها ... أبَيْنا وقلنا الحاجِبيَّةُ أوَّلُ[1]
سنُوليكِ عُرْفاً[2] إنْ أرَدْتِ وِصالَنَا ... ونحن لتلك الحاجِبيَّةِ أوْصَلُ

قال: بلى. قالت: فهلاَّ قلتَ كما قال سيِّدُك جميل:

يا رُبَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها ... بالجِدِّ تَخْلِطُهُ بقولِ الهازلِ
فأجَبْتُها بالقولِ بعد تأمُّلٍ ... حُبِّي بُثينةَ عن وِصالكِ شاغلي
لو كان في قلبي كقَدْرِ قُلامةٍ ... فضلاً لغيركِ ما أتتكِ رسائلي

قال: فقلتُ: دعي هذا واسقيني ماءً. فقالت: لا والله، وإلَّا ثَكِلْتُ بُثينةَ، لا أسقيك ولو مِتَّ عَطَشاً. فركَضْتُ فرسي، ومَضيْتُ أطلبُ الماء، فما وصلتُ إليه إلا بعد جهد كِدتُ أن أموتَ عَطَشاً[3].

قال يحيى الأمويّ: لَقِيَتْ امرأةٌ كُثَيِّراً وكان دَمِيماً ضئيلاً، فقالت: مَنْ أنت؟ قال: كُثَيِّر. قالت: تسمعُ بالمُعِيدِيِّ خيرٌ من أن تراه. فقال: مَهْ، فأنا الذي أقول:

فإنْ أكُ مَعْرُوقَ العِظامِ فإنَّني ... إذا ما وَزَنْتِ القومَ بالقومِ أَوْزِنُ

فقالت: كيف تكون بالقوم وازناً وأنتَ لا تُعرفُ إلا بِعَزَّة؟! فقال: واللهِ لئن قلتِ ذلك، لقد رفع الله بها قَدْرِي، وزَيَّنَ بها شِعْري، وإنها لكما قلتُ:

وما روضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبةُ الثَّرَى ... يَمُجُّ النَّدى جَثْجاثُها وعَرارُها[4]
بأطيبَ من أردانِ عَزَّةَ مَوْهِناً ... وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها[5]
من الخَفِرات البيضِ لم تَلْقَ شَقْوةً ... وبالحَسَبِ المكنُونِ صافٍ نِجَارُها[6]

---

(١) الخُلَّة يعني الخليلة. وقصد بالحاجبية: عزَّة.

(٢) أي: معروفاً.

(٣) تاريخ دمشق ٥٩/ ٣١٦ـ٣١٧ ، والمنتظم ٧/ ١٠٦ـ١٠٧ .

(٤) الحَزْن من الأرض: ما غلُظ، والجَثجاث والعَرار: نَبْتانِ طَيِّبا الرائحة.

(٥) الأردان، جمع رَدْن، وهو القزّ أو الخزّ، والمَوْهن: نحوٌ من نصف الليل، أو بعد ساعة منه، والمَنْدَل: العود الطيب الرائحة.

(٦) الخَفِرات جمع خَفِرة، وهي شديدة الحياء، والنِّجار: الأصل والحَسَب.

فإنْ بَرَزَتْ كانَتْ لِعَيْنِكَ قُرَّةً وإنْ غِبْتَ عنها لم يَعُمَّكَ عارُها

فقالت له: أرأيتَ حين تذكرُ طِيبَها؛ فلو أنَّ زِنْجيَّةً استجمرَتْ بالمَنْدَل الرَّطْب لطابَ رِيحُها! ألا قلتَ كما قال امرؤ القيس:

خليليَّ عُوجا[1] بي على أمِّ جُنْدُبٍ نُقَضِّ لُباناتِ[2] الفؤادِ المعذَّبِ

ألَمْ تَرَ أني[3] كلّما جئتُ طارقاً وجَدْتُ بها طِيباً وإنْ لم تَطَيَّبِ

فقال كُثَيِّر: الحقُّ لَهُوَ ـ واللهِ ـ خيرُ ما قيل، لَهُوَ ـ واللهِ ـ أنعتُ لصاحبته منّي[4].

وقال ابن عائشة: وقف كُثَيِّر على قوم يفضِّلون عليه جميلاً ويقولون: هو أصدقُ في حبِّه من كُثَيِّر، وهم لا يعرفونه، فقال لهم: كيف تفضِّلُون جميلاً على كُثَيِّر وقد بلغ جميلاً عن بُثَيْنَةَ ما يكره؟ فقال:

رمى اللهُ في عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بالقَذَى وفي الغُرِّ من أنيابها بالقَوادحِ

وكُثَيِّر عَزَّة أتاه من عَزَّة بعضُ ما يكره، فقال:

خليليَّ هذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلا قَلُوصَيْكُما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ

و ما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما البُكا ولا موجباتِ الحبِّ[5] حتى تولَّتِ

فقلتُ لها يا عَزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

ووالله ما قاربتُ إلا تباعَدَتْ ووالله ما أكثرتُ إلا أقلَّتِ

أسيئي بنا أو أحْسِني لا ملومةٌ لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

فلا يحسبُ الواشون أنَّ صبابتي بِعَزَّةَ كانت غَمْرةً فتَجلَّتِ

ومن أرقّ ما قال:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ [لعزَّةَ من أعراضنا ما اسْتَحلَّتِ]

---

(١) في «ديوان» امرىء القيس ص ٤١، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٢٠: مُرًّا.

(٢) جمع لُبانة، وهي الحاجة من غير فاقة.

(٣) كذا في (خ) و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٢٠، وفي «الديوان»: ألم تَرَياني. وهو الوجه.

(٤) تاريخ دمشق ٥٩/ ٣١٩ـ٣٢٠.

(٥) في «الشعر والشعراء» ١/ ٥١٤، و«التذكرة الحمدونية» ٦/ ١٧٢: موجعات الحزن. وفي «الأغاني» ٩/ ٢٩: موجعات القلب. وفي «الحماسة البصرية» ٢/ ١٢٣: موجعات البين.

من أبيات[١].

[وقال:][٢]

فما أحدثَ النَّأْيُ المُفَرِّقُ بيننا سُلُوًّا ولا طولُ اجتماعٍ تَقَاليا[٣]
وما زادني الواشون إلا صَبابةً ولا كثرةُ النَّاهين إلا تماديا[٤]

مات كُثَيِّرٌ وعكرمةُ في يوم واحد بالمدينة، فاختلفت[٥] قريش لكُثَيِّر، ولم يوجد لعكرمة من يحملُه.

وقال سليمان بن أفلح: استنشدني الرشيد هارون شعر كُثَيِّر، فأخذت في الإنشاد، فلما جئتُ إلى مدحِ بني أمية [وقفت]. قال: مالَكَ؟ فأخبرتُه، فقال: اِمْضِهْ. وجعل يتعجَّبُ من شعره، فقال له يحيى بن خالد: ما مَدَحَكُم به مروان بن أبي حفصة أجودُ من هذا حيث يقول:

نورُ الخلافةِ في المهديّ تعرفُهُ وذلك النورُ في موسى وهارونِ

فقال هارون: دع هذا الكلام يا أبا علي، فواللهِ، لا يُمدح بشعر مثلِ شعر كُثَيِّر حتى يُحاكَ لنا مثلُ طِرازِ هشام[٦].

يزيد بن عبد الملك

ابن مروان، كان صاحبَ لهوٍ وشراب، وكان يقول: عمر بن عبد العزيز كان خيراً مني لنفسه، وأنا خيرٌ منه للناس.

وكان يزيد قد اشتغل عن الرعيَّة بسَلَّامة؛ بالتشديد، وحَبَابة؛ بالتخفيف؛ قينتين من المدينة ومكة[٧].

---

(١) الخبر في «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٢٩٤ ـ٢٩٥ دون ذكر الأبيات إلا البيت الأخير: هنيئاً مريئاً... وفي آخره قول كُثَيِّر: فما انصرفوا إلا على تفضيلي

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندي لفصل البيتين الآتيين عما قبلهما.

(٣) تقالياً، أي: تباغضاً.

(٤) تاريخ دمشق ٥٩/ ٣٢٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) في «الأغاني» ٩/ ٣٦: فاجتمعت، وفي «تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٢٥: فأجْفَلَتْ (أي: أسرعت).

(٦) تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٩٢ـ٢٩٣، وما سلف بين حاصرتين مستفاد منه.

(٧) من أول ترجمة كُثَيِّر (الترجمة قبلها) إلى هذا الموضع؛ لم يرد في (ص).

حديث سَلَّامة:

وهي جارية سُهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل: جارية مصعب بن سُهيل، وتُعرف بسلَّامة القَسّ، وكانت من مولَّدات المدينة[١].

أخذت الغناء عن مَعْبَد، وابنِ عائشة، وابن سُرَيْج، ومالك بن أبي السَّمْح، وجميلة، وعَزَّة المَيْلاء[٢].

وكانت من أحسن النساء جمالاً وغِناءً.

واسم القَسّ عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار، وكان عابداً مجتهداً ناسكاً يُقدَّم على عطاء بن أبي رباح في النُّسُك، ولعبادته سُمِّي بالقَسّ.

مرَّ بسلَّامة يوماً، فسمع غِناءها، فافتُتنَ بها.

قال شيخُنا موفَّق الدين رضي الله عنه، يرفعه إلى خلَّاد بن يزيد قال: سمعتُ شيوخاً[٣] من أهل مكة، منهم سليمان، يذكرون أنَّ القَسَّ كان عند أهل مكَّة من أحسنِهم عبادةً وأظهرهم تَبَتُّلاً، وأنه مرَّ يوماً بسلَّامة [جارية كانت لرجل من قريش] فسمع غِناءها، فوقف يستمع، فرآه مولاها، فقال له: هل لك أن تدخل فتستمع؟ فتأبَّى عليه، فلم يزل به حتى تَسَمَّح، وقال: أقعدني في موضع لا تراني ولا أراها. قال: أفعل.

فدخل فغنَّتْ فأعجبَتْه، فقال مولاها: هل لك أن أُحَوِّلها إليك؟ فتأبَّى عليه، ثم سمع غناءَها وسمحَ، ولم يزل حتى شُغف بها وشُغِفَتْ به، وعلم بذلك أهل مكة.

فقالت له يوماً: أنا واللهِ أُحبُّك. قال: وأنا واللهِ أُحبُّكِ. قالت: وأُحبُّ أَنْ أضعَ فمي على فمك. قال: وأنا والله. قالت: وأحبُّ أن أُلصِقَ صدري بصدرك، وبطني ببطنك. قال: وأنا

---

(١) ينظر «الأغاني» ٨/ ٣٤٦ ، و١٥/ ١٢٣ ، و«تاريخ دمشق» ص ١٨٧ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء.)

(٢) مَعْبَد: هو ابنُ وَهْب، وقيل: ابن قطني، مولى ابن قطر، وابن عائشة: هو محمد، أبو جعفر، وابنُ سُرَيْج: هو عُبيد، أبو يحيى، وجميلة هي مولاة بني سُليم، وعَزَّة المَيْلاء، مولاة للأنصار، سمّيت بذلك لميلها في مشيتها، تنظر أخبارهم في «الأغاني» ١/ ٦٤ و٢٤٨ ، و٢/ ١٩٥ ، و٥/ ١٠١ ، و٨/ ١٨٦ ، و١٧/ ١٦٢ ، وهم من أصول الغناء.

(٣) في (ص)، و«التوابين» ص ٢٣٧ : شيوخنا.

واللهِ كذلك. قالت: فما يمنعك؟ فواللهِ إنَّ المكان لخالٍ. قال: إني سمعتُ أن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وأنا أكره أن تكون خُلَّةٌ مّا بيني وبينكِ تؤول إلى العداوة يومَ القيامة. قالت: يا هذا، أفحسبتَ أنَّ ربي وربَّك لا يقبلُنا إذا تُبنا إليه؟ قال: بلى، ولكنْ لا آمنُ أن أُفاجأ.

ثم نهض وعيناه تَذْرِفان، فلم يرجع بعد [ذلك] وعاد إلى ما كان عليه من النُّسُك[١].

وفيها يقول عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات:

لقد فَتَنَتْ رَيَّا وسلَّامةُ القَسَّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا حِسَّا[٢]

وقال الهيثم: اشترى يزيدُ بنُ عبد الملك سلَّامة قبل الخلافة بأربعة آلاف دينار، فأُعجبَ بها، وغلبت عليه، وكان تحته سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ابن عفان[٣]، ويقال لها: العثمانية؛ تزوَّجها في حجَّته في أيام أخيه سليمان على عشرين ألف دينار، وتزوَّج في هذه الحَجَّةِ رُبيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر على عشرين ألف دينار أيضاً، واشترى سلَّامة في هذه الحجة[٤]، فلما رأَتْ سعدى ميله إلى سلَّامة اشترَتْ له حَبَابة، فغلبت عليه، فَلَهَا عن سلَّامة، ووهَبَها لسعدى.

وقال الزُّبير بن بكَّار: كانت سلَّامة من أحسن النساء وأكملهنّ، قرأَت القرآن، وقالت الشعر ورَوَتْهُ، وكان الأحوص وعبد الرحمن بنُ حسان يجلسان إليها ويُنشدانِها، فعلقت بالأحوص، وصرفت عن عبد الرحمن، فقال[٥]:

---

(١) التوابين لابن قدامة ص ٢٣٧، وقد أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا، وهو في «تاريخ دمشق» ص ١٩٠ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء)، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٧ـ١٩٨، و«الأغاني» ٨/ ٣٥٠.

(٢) في «الأغاني» ٨/ ٢٣٥، و«تاريخ دمشق» ص ١٨٧: نَفْسا.

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها). وهو خطأ، والصواب أنها سَعْدَة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، كما في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٩، و«الأغاني» ١٥/ ١٢٤ (والخبر فيهما بنحوه): وأما تلك فهي زوجة الوليد ابن يزيد. ينظر «الأغاني» ٧/ ٢٦.

(٤) في «أنساب الأشراف» ٧/ ١٩٩ أن يزيد اشترى سلَّامة لما وليَ الخلافة، وجاء أول الخبر: قبل الخلافة. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ٤٤٦-٤٤٧.

(٥) هذا الخبر مرويّ في سلَّامة جارية يزيد بن معاوية كما في «الأغاني» ٩/ ١٣٤. والظاهر أن المصنف جعلهما واحداً (إن لم يكن واهماً). وقد فرَّق ابنُ عساكر أيضاً بينهما في «تاريخ دمشق» (تراجم النساء) ص ١٨٣ و١٨٧.

أرى الإقبالَ منكِ على جليسي وما لي في حديثكما[١] نصيبُ

فقالت سَلَّامة:

لأنَّ اللهَ علَّقَهُ فؤادي فحازَ القلبَ دونَكُمُ حبيبُ

فقال الأحوص:

خليلي لا تَلُمْها في هواها ألذُّ العيش ما تَهْوَى القلوبُ

فخرج ابنُ حسان إلى يزيد بن عبد الملك[٢] ممتدحاً له، فأكرمه ووصلَه، فقال: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحةٌ، فقال: وما هي؟ قال: جارية بالمدينة لامرأةٍ من قريش. ووصفَها له، وقال: لا تصلح إلا لك. فبعث إلى عامله، فاشتراها وحملَها إليه، فوقعت منه موقعاً.

وعاد عبد الرحمن إلى المدينة ومر بالأحوص، وإذا به متبسِّم، فأنشده:

يا مبتلًى بالحبِّ مفدوحاً ولاقياً منه تباريحا

ألجمَهُ الحبُّ فما ينثني إلا بكأس الحبِّ مصبوحَا

وصارَ ما يُعجبُهُ مُغْلَقاً عنهُ وما يكرهُ مفتوحَا

قد حازَها مَنْ أصبَحَتْ عنده ينالُ منها الشَّمَّ والرِّيحَا

خليفةُ الله فَسَلِّ الهوى فعَزَّ قلباً منك مقروحا[٣]

وقال ابن عساكر[٤]:

بعث يزيدُ بنُ عبد الملك إلى المدينة، فاشترى سلَّامة بعشرين ألفَ دينار، فخرج أهلُها يودِّعُونها، فامتلأ المكان بالناس، فقالت:

فارقُوني وقد علمتُ يقيناً ما لِمَنْ ذاقَ فُرْقةً[٥] من إيابِ

(١) في «الأغاني» ٩/ ١٣٤ :... على خليلي وما لي في حديثكُم...

(٢) في «الأغاني» ٩/ ١٣٤ : يزيد بن معاوية، والقصة في سلامة جاريته كما سلف قبل تعليق..

(٣) في «الأغاني» ٩/ ١٣٥ : مجروحا (وينظر الخبر فيه).

(٤) رجع الكلام على سلّامة جارية يزيد بن عبد الملك، وهو في «تاريخ دمشق» ص ١٩١ (طبعة مجمع دمشق ـ تراجم النساء).

(٥) في «الأغاني» ٨/ ٣٤٣ ، و«تاريخ دمشق» ص ١٩١ : ميتة .

إنَّ أهلَ الحِصَاب قد تركوني قلقاً مُولَعاً بحبِّ الحِصاب[١]

ثم بكت وبكى الناسُ، وأرسلت إلى كلِّ واحد بثلاثة آلاف درهم[٢].

حديث حَبَابة:

وهو لقبٌ لها.

[قال المدائني:] واسمُها العالية، وكنيتُها أمُّ داود، وكانت جارية لاحق، وقيل: لابنِ مينا، شبَّب بها وضَّاح اليمني قبل أن تصل إلى يزيد.

وكانت من مولَّدات المدينة، أخذت الغِناء عن ابن سُرَيْج، وابن مُحرز، ومعبد، وغيرهم، وكانت من أحسن أهل عصرها وجهاً وغِناءً وشمائل[٣].

وقال المدائني: اشترى يزيد [بن عبد الملك] حَبَابة في حَجَّته [التي حجَّها] في خلافة [أخيه] سليمان بخمسة آلاف دينار[٤] من عثمان بن سهل بن حنيف[٥]. وبلغَ سليمانَ، فقال: لقد هممتُ أن أحجر على هذا المائقِ[٦] السفيه. وكان يزيد يهابُه ويتَّقيه، فردَّها على مولاها، فشخص بها إلى إفريقية، فباعها هناك، وبقي يزيد متلَهِّفاً متحسِّراً عليها.

فلما ولي الخلافة قالت له سعدى[٧]: هل بقيَ في قلبك من أمور الدنيا شيء؟ قال: نعم، حَبَابة. قالت: وأين هي؟ قال: لا أعلم.

---

(١) في(خ) (والكلام منها): الحباب (في الموضعين) بدل: الحِصاب، والمثبت من «تاريخ دمشق»١٨/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ (مصورة دار البشير ـ ترجمة يزيد) وص ١٩١ (تراجم النساء) وهو كذلك في «الأغاني» ٨/ ٣٤٣. والحِصاب: لغة في المحصَّب، والمراد به موضع رمي الجمار بمنى. وينظر «معجم ما استعجم» ١/ ٤٥١، و«معجم البلدان» ٥/ ٦٢.

(٢) المصدران السابقان (الأغاني والتاريخ). ومن قوله: وكان تحته سعدى بنت سعيد بن خالد بن عمرو... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).

(٣) ينظر «الأغاني» ١٥/ ١٢٢، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٢٩٨. (وترجمة حَبَابة ليست في المطبوع من «تاريخ دمشق»).

(٤) في المصادر: أربعة آلاف. ينظر: أنساب الأشراف ٧/ ٢٠٠، وتاريخ الطبري ٧/ ٢٣. والأغاني ١٥/ ١٢٤، والمنتظم ٧/ ١٠٩. والكلام بين حاصرتين من (ص).

(٥) قوله: من عثمان بن سهل بن حنيف، ليس في (ص). وهو في «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٣.

(٦) في (خ): المنافق، والمثبت من (ص)، وهو موافق لما في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٠.

(٧) في المصادر السابقة غير «المنتظم»: سعدة.

فأرسلت وبحثت عن أمرها، فقيل: هي بإفريقية، فأرسلت رجلاً تثقُ به، وأعطته مالاً كثيراً، فمضى إلى إفريقية، وبذل في ثمنها عشرة آلاف دينار[١]، واشتراها وحملها إلى دمشق، ففرحت بها، وألبستها أفخر الثياب والحُلِيّ، وقالت لها: إنما اشتريتُكِ ليزيد. فدَعَتْ لها.

ثم قالت سعدى ليزيد: أُحبُّ أن تمضيَ إلى بستاني بالغوطة تتنزَّه [فيه] قال: نعم. وأرسلت إلى البستان، فهيَّأت الأطعمة، وفرشت المقاصير، وجاء يزيد فأكل وشرب، فقالت له سعدى: قد اشتريتُ لك جاريةً تغنِّي أصواتَ حَبابة. فقال: وأين هي؟ فضربت بينهم ستارة وقالت: يا جارية، غنِّي. فغنَّت صوتاً كان يزيد يحبُّه وهو لكُثَيِّر عَزَّة:

وبين التراقي والفؤادِ حرارةٌ مكانَ الشَّجَا لا تستقلُّ فتبردُ[٢]

فصاح يزيد: صوتُ حَبَابة وربِّ الكعبة، وقام قائماً، فقالت له سعدى: هي حَبَابة، وقد بعثتُ إلى إفريقية، فاشتريتُها بعشرة آلاف دينار. فحَظِيَتْ سعدى عنده، وارتفعت منزلتُها، وقامَتْ ومضتْ، وتركته مع حَبَابة في البستان.

فأقام ثلاثة أيام، فأخذ منه الشرابُ يوماً، فصَعِدَ إلى مستشرفٍ عالٍ وقال لها: غنِّي:

وبين التَّراقي والفؤادِ حرارةٌ

فغنَّتْ، فأهوى بنفسه وقال: أطيرُ. وأراد أن يُلقيَ نفسه، فتعلَّقت به وقالت: لنا فيك حاجة[٣]، على من تترك الأمَّة؟! قال: أنتِ لهم[٤].

وبلغ أبا حمزة الخارجيَّ، فقال: يطيرُ إلى لعنة الله.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٠ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٣ : أربعة آلاف دينار.

(٢) كذا رواية «المنتظم» ٧/ ١١٠ . وفي «تاريخ» الطبري ٧/ ٢٣ : بين التراقي واللهاة حرارة... ما تطمئنُّ وما تسوغ فتبردُ. وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٧/ ١١١ .

(٣) قوله: لنا فيك حاجة، ليس في (ص). وجاء فيها آخر الخبر ما لفظُه: «وفي رواية أنه لما قال: أريد أطير، قالت حَبَابة: لنا فيك حاجة».. وهي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠١ ، و«تاريخ» الطبري ٧/ ٢٤ .

(٤) ينظر إضافة إلى المصدرين السابقين: الأغاني ١٥/ ١٤٠ ، والمنتظم ٧/ ١١٠ ، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٠٠ .

ثم توفّيت حَبَابة، فكانت سبباً لوفاته؛ بينا هو جالسٌ يوماً [معها] في مستشرف وقد قال للخادم: هذا يوم سروري، فلا ترفعنَّ إليَّ شيئاً من أمور الناس. فأخذَتْ رمَّانةً فأكلَتْ منها حبَّة، فشَرِقَتْ بها وماتت[١].

وقيل: إن يزيد رماها بحبَّة عنب، فدخلت في فيها، فشَرِقَتْ بها، فماتت[٢].

فتركها في البيت حتى نَتَنَتْ، وحزن عليها حزناً منعه من الطعام والشراب حتى مات كَمَداً.

[قال الهيثم:] وخرج في جنازتها محمولاً فلم تحمله قدماه، فسقط إلى الأرض، فقال لمسلمة: صَلِّ عليها. ثم حُمل إلى قبرها وهو ينشد [قول كُثَيِّر]:

وإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الصَّبَا ... فبالرُّغم[٣] أسْلُو عنكِ لا بالتَّجَلُّدِ

وكلُّ خليلٍ راعني فهو قائلٌ[٤] ... مِنَ أجلكِ هذا هامةُ اليومِ أو غَدِ

ثمَّ حُمل إلى قصره، فما خَرج إلا على النَّعْش[٥].

وأشار عليه مسلمةُ أن لا يخرج إلى الناس سبعة أيام لئلا يظهر منه شيءٌ يُسَفَّهُ به[٦].

وقال الهيثم: دفنها ثم نبشَها بعد ثلاث وقد نَتَنَتْ، فرمى بنفسه عليها، ولم يمنعه شدةُ نَتَنها من ذلك، وجعل يلثمها ويَشَمُّها، وأعادها إلى قبرها، ولزمه[٧].

وعاش بعدها أربعين ليلة مريضاً، وقيل: خمس عشرة ليلة، وقيل: ثلاثة أيام.

وقال الأصمعي: إنه دخل بعد موتها إلى خزائنها ومقاصيرها، فطاف فيها ومعه جارية لها، فترنَّمَت:

---

(١) الأغاني ١٥/ ١٤٣ ، والمنتظم ٧/ ١١١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٠١ .

(٢) أنساب الأشراف ٧/ ٢٠٣ ، ونُسب الكلام في (ص) إليه.

(٣) في المصادر السابقة: فباليأس.

(٤) في (خ) (والبيتان منها): وكل رآني فهو لا شك قاتل. والمثبت من «الأغاني» ١٥/ ١٤٤ ، وفي «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢ : وكلُّ حبيب زارني.

(٥) بنحوه في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٤٢ (مصورة دار البشير ـ ترجمة يزيد بن عبد الملك).

(٦) تاريخ الطبري ٧/ ٢٤ ، وبنحوه في «الأغاني» ١٥/ ١٤٥ . ولم يرد هذا القول في (ص).

(٧) لم أقف على هذا السياق، والذي في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٤ ، و«المنتظم» ٧/ ١١١ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢ أنها لما ماتت بقيت عنده ثلاثاً حتى أنتنت... ثم أذن لهم في دفنها. وينظر «الأغاني» ١٥/ ١٤٤ .

كفى حَزَناً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يَرَى منازلَ مَنْ يَهْوَى مُعَطَّلةً قَفْرَا

فغُشيَ عليه، ثم حُمل إلى قبرها، فأقام ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب، فلما كان في اليوم الرابع وجدوه ساجداً عندها ميِّتاً[١].

ومات في شعبان[٢] [يوم الجمعة] لخمس بقين منه[٣] [وهذا قول الواقدي وأبي معشر وغيرهما][٤]. وقيل: يوم الخميس[٥]. ومات بالبلقاء بإرْبِد، وقيل: بالجَوْلان، فحُمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدُفن بالباب الصغير.

[قال أبو القاسم ابن عساكر:] قيل: إن حَبَابة ماتت ببيت رأس من الأردنّ، ودُفنت هناك، وأقام يزيد بعدها أياماً، ثم مات، فدُفن إلى جانبها[٦].

وكان سنُّه ثمانياً وثلاثين سنة، وقيل: أربعين سنة، وقيل: ستًّا وثلاثين سنة، وقيل: خمساً وعشرين، وقيل: سبعاً وعشرين سنة، وقيل: ثلاثاً وثلاثين سنة[٧].

ومدَّةُ خلافته أربعُ سنين وشهراً، وقيل: وستة أشهر، وقيل: أربع سنين إلا ثلاثة أشهر[٨].

ورُوِيَ أنَّ بعضَ اليهود قال له: إنك تملكُ أربعين سنة، فقال آخر منهم: كذبَ لعنه الله، إنما رأى أنه يملكُ أربعين قَصَبة، والقَصَبةُ شهر، فجعلها سنةً[٩].

وقيل: إنه مات بعلَّة السُّلّ.

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٠٤ـ٢٠٥ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢ .

(٢) في (ص): واتفقوا على أنه مات في شعبان...

(٣) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢ ، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٤٥ و٣٤٦ (مصورة دار البشير ـ ترجمة يزيد بن عبد الملك). وقوله: يوم الجمعة (بين حاصرتين) استدركتُه منهما لقوله بعده: وقيل: يوم الخميس.

(٤) ما بين حاصرتين من (ص)، وكلام الواقدي وأبي معشر في المصدرين السابقين.

(٥) ثقات ابن حبان ٢/ ٣١٩ .

(٦) ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٧/ ٣٠٢ . ومن هذا الموضع وحتى أول سنة (١٠٦) ليس في (ص).

(٧) ينظر «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٤٢ـ٣٤٣ (مصورة دار البشير ـ ترجمة يزيد) ولم أقف على من قال: إنَّ سنَّهُ خمس ـ أو سبع ـ وعشرون، وجاء في «المعارف» ص ٣٦٤ : أنه بلغ من السنّ تسعاً وعشرين.

(٨) تاريخ دمشق (النسخة المذكورة في التعليق السابق).

(٩) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢ .

وصلَّى عليه ابنُه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشامٌ يومئذ بالرُّصافة، وقيل: بحمص.

وخرج سريرُه وسلَّامةُ خلفَه تقول:

لا تَـلُـمْـنـا إن خَـشَـعْـنـا ... أو هَـمَـمْـنـا بـخـشـوعِ
قـد لَـعَـمْـرِي بِـتُّ لَـيْـلِـي ... كـأخـي الـداءِ الـوجـيـعِ
ثـم بـات الـهـمُّ مـنّـي ... دونَ مَـنْ لـي مِـنْ ضـجـيـعِ[1]
لـلـذي حَـلَّ بـنـا الـيَـوْ ... مَ مـن الأمـر الـفـظـيـعِ
كـلـمـا أبْـصَـرْتُ رَبْـعـاً ... خـالـيـاً فـاضَـتْ دمـوعـي
قـد خـلا مـن سـيِّـدٍ كـا ... نَ لـنـا غـيـرَ مُـضِـيـعِ

ثم صاحت: يا أمير المؤمنيناه[2].

ذكر أولاده:

الوليدُ؛ وَلِيَ الخلافة، ويحيى، وعاتكة، وأمُّهم أمُّ الحجَّاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجَّاج بن يوسف، وعبدُ الله، وعائشةُ؛ أمُّهما سعدى[3] بنت عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، والغَمْر لأمٍّ ولد، وعبدُ الجبَّار وسُليم لأمٍّ ولد، وهاشم وأبو سفيان لأمٍّ ولد، وسليمانُ، وعبدُ المؤمن، وداود، والعوَّام؛ لأمَّهات أولاد.

فأمَّا الوليد فسنذكره.

وأما عبد الله فقد ولده سبعةٌ من الخلفاء: أبوه يزيد، وجدُّه عبدُ الملك، وجدُّ أبيه مروان، وجدُّه لأمِّ أبيه معاويةُ بن أبي سفيان، وجدُّه لأمِّه عثمان رضي الله عنه؛ لأنَّ أمَّه سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، [وأمُّ عبد الله بن عمرو بن عثمان] ابنةُ عبد الله بن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان لعبد الله هذا ولدٌ عظيم القَدْرِ عند المهديّ والرشيد اسمُه عبد المطَّلب[4].

---

(١) في رواية «الأغاني» ٨/ ٣٤٨ : ونجيُّ الهمِّ منّي... باتَ أدنى من ضلوعي.

(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٢٢ـ٢٣ . وقال بعده: والشعر لبعض الأنصار.

(٣) في أنساب الأشراف ٧/ ٢٩٥ : سعدة.

(٤) أنساب الأشراف ٧/ ٢٩٥ـ٢٩٦ ، وما سلف بين حاصرتين منه. واسم أمِّ عبد الله بن عَمرو حفصة.

وأمَّا الغَمْرُ؛ فكان أحدَ الأجواد الممدَّحين، ولَّاه أخوه الوليد بن يزيد غَزْوَ الصائفة، وكانت دارُه بدمشق قِبَلَ[١] زقاق العجم.

قتلَه عبدُ الله بن عليّ بنهر أبي فُطْرس[٢] سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وفيه يقول الشاعر:

إذا عـدَّدَ الـنـاسُ الـمـكـارمَ بـيـنَـهـم ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ

فـمـا مـرَّ مِـنْ يـومٍ مِـنَ الـدهـرِ واحـدٌ ... على الغَمْرِ إلاَّ وَهْوَ للناسِ غامرُ[٣]

وهو صاحب سَيْح الغَمْر باليمامة[٤].

ولما قدَّمه [عبد الله بن] عليّ بن عبد الله ليقتلَه قال: إني شيخٌ كبير، وإنْ تركتَني كفيتُك مؤونة قتلي. فقال عبدُ الله بنُ عليّ: قد كان الحُسين شيخاً كبيراً فقتلتموه. وضربَ عنقه، فعنَّفَ الحاضرون عبدَ الله بنَ علي وقالوا: وهل كان هذا موجوداً في زمن الحسين؟! قتلتَ هذا الجواد الممدَّح[٥]!

وأمَّا سُليمان بنُ يزيد؛ فكان ممن أعانَ على قتل أخيه الوليد بن يزيد مع يزيد بن الوليد. بعثَ إليه[٦] عبدُ الله بنُ علي جيشاً إلى البلقاء، فقتلَه.

وأما عبد المؤمن بن يزيد فكان يسكن باب الجابية بدمشق[٧].

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٣١٤ (طبعة مجمع دمشق): قبلة.

(٢) في (خ) بطرس، والمثبت من المصدر السابق. ونهر أبي فطرس قرب الرملة بفلسطين. ينظر «معجم البلدان» ٤/ ٢٦٧ و٥/ ٣١٥.

(٣) نُسب البيتان في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٩٥ لإسماعيل بن يسار مولى بني تيم بن مُرّة، وجاء البيت الأول مع بيت آخر في ترجمة الغَمْر في «تاريخ دمشق» ٥٧/ ٣١٥ (طبعة مجمع دمشق) ونُسب فيه لأبي المهاجر معدان مولى آل أبي الحكم.

(٤) السَّيْح: الماء الجاري، وسَيْح الغَمْر باليمامة أسفل المجازة. ينظر «معجم البلدان» ٣/ ٢٩٤.

(٥) الخبر في «أنساب الأشراف» ٧/ ٢٩٦ مختصر. وما سلف بين حاصرتين مستفاد منه.

(٦) يعني إلى سليمان بن يزيد. وينظر «تاريخ دمشق» ٧/ ٦٥٤ (مصورة دار البشير).

(٧) تاريخ دمشق ٤٣/ ٣٢٠ (طبعة مجمع دمشق).

ومن الوافدين على يزيد بن عبد الملك:

الأحوص الشاعر

وهو عبدُ الله [بن محمد بن عبد الله] بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وجدُّ أبيه عاصم بن أبي الأَقْلَح من كبار الأنصار، واسمه قيس[١] بن عصمة، وابنُه عاصم شهد بدراً، وقُتل يوم الرَّجيع، وهو حَمِيُّ الدَّبْر[٢].

والأحوص ابن خال حنظلة[٣] غسيل الملائكة، وكنية الأحوص أبو محمد، [وهو] من الطبقة السادسة من الشعراء الإسلاميين[٤].

وكان الوليد بن عبد الملك نفاه إلى دَهْلَك ـ جزيرة بأرض الحبشة ـ فلم يزل بها أيام الوليد وسليمان، فلما وَلِيَ عُمر بن عبد العزيز رجع إلى المدينة وقال: قد وَلِيَ رجلٌ أنا خالُه، فما يصنع بي ـ وكانت أمُّ عمر بن عبد العزيز أمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمُّها بنتُ عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح الأنصاري ـ فبعث عمر رضي الله عنه فنفاه إلى دَهْلَك، فأقام بها. فلمَّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك رجع إلى المدينة[٥].

قال المعافَى: عزم مَعْبَد المغنِّي والأحوص على زيارة يزيد بن عبد الملك فترافَقَا، فلمَّا وصلا إلى البلقاء أصابهم مطر في الليل، فأصبحت الغُدْران مملوءةً، فقالا: لو أقمنا يومنا هذا. فأقاما.

---

(١) يعني اسم أبي الأقلح، وينظر «الأغاني» ٤/ ٢٢٤ .

(٢) قال أبو الفَرَج (في المصدر السابق): كان رسول الله ﷺ بعثَه (يعني عاصماً) بَعْثاً، فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلبوه، فحَمَتْهُ الدَّبْرُ ـ يعني النَّحل ـ فلم يقدروا عليه حتى بعث الله الوادي في الليل (يعني السيل في الوادي) فاحتمله، فذهب به.

(٣) كذا في (خ) (والكلام منها) وهو خطأ. وذكر الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٦٤ أن حنظلةَ خالُ أبي الأحوص... وأنشد بيت الأحوص:

غسَّلَتْ خالَيَ الملائكةُ الأبْـ ... ـرارُ مَيْتاً أكْرِمْ به من صريعِ

وهو بنحوه في «الأغاني» ٤/ ٢٣٤ مع بيتين آخرين.

(٤) كذا ذكره ابن سلاّم في «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٦٥٥ ، ونقله أبو الفَرَج في «الأغاني» ٤/ ٢٣٣ .

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٢٧٨ . وينظر ما سلف في ترجمة عِراك بن مالك الغفاري سنة (١٠٤).

ورُفع لهم قصرٌ، وإذا بجارية قد خرجت ومعها جَرَّةٌ، فاستقت من الغدير، فسقطت الجَرَّةُ من يدها، فانكسرت، فجلست تبكي، فسألا عن حالها، فقالت: كنتُ لرجل من قُريش، فاشتراني رجل من بني عامر بخمسين ألفَ درهم، وهو صاحبُ هذا القصر، فنزلتُ من قلبه ألطفَ منزلة، ثم تزوَّج ابنةَ عمٍّ له، فأساءت إليَّ، وكلَّفتني أن أستقيَ بالجَرَّة كلَّ يوم من هذا الغدير، فشكوتُ إليه، فقال: إنها ابنةُ عمِّي وأنت أَمَةٌ، فلم يَشْكُني، وربَّما أذكر ما كنتُ فيه، فوقعت الجَرَّةُ من يدي، فانكسرت.

وكان بين أيديهما عودٌ فأخذَتْه وضربَتْ به وغنَّتْ تقول:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ ... حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ مُوَكَّلُ
إني لَأَمنحُكَ الصُّدودَ وإنَّني ... قَسَماً إليكَ مع الصُّدودِ لَأَمْيَلُ
ولقد نزلتَ من الفؤادِ بمنزلٍ ... ما كان غيرُكَ والأمانةِ ينزلُ
ولقد شكوتُ إليكَ بعضَ صَبَابتي ... ولَمَا كتمتُ من الصَّبَابةِ أطولُ
هل عيشُنا بكَ في زمانكَ راجعٌ ... فلقد تفحَّشَ بعدكَ المتعلِّلُ
أعرضتُ عنكَ وليس ذاك لبَغْضَةٍ ... أخشى مقالةَ كاشحٍ لا يعقلُ

قال: ثم بكت بكاءً شديداً حتى أبكتهما. قال: فقلنا لها: لمن هذا الشِّعر؟ قالت للأحوص. قلنا: والصوت؟ قالت: لمَعْبَد. فقلنا: أفتَعْرِفينهما؟ قالت: لا والله. فقال: أنا الأحوص، وهذا مَعْبَدَ، ونحن قاصدان يزيد بنَ عبد الملك، فأنشأت تقول:

إنْ تراني الغَدَاةَ أسْعَى بِجَرٍّ ... أستقي الماءَ نحوَ هذا الغديرِ
فلقد كنتُ في رخاءٍ من العَيْـ ... ـشِ وفي كلِّ نعمةٍ وسرورِ
ثم قد تُبصِرانِ ما فيه أصْبَحْـ ... ـتُ وماذا إليه صارَ مصيري
أَبْلِغا عنيَ الإمامَ وما يَبْـ ... ـلُغُ صدقَ الحديث مثلُ الخبيرِ
أنَّني أَضْرَبُ الخلائقِ بالعُو ... دِ وأَحْكَاهُمُ بِبَمٍّ وزِيرِ[1]
فلعلَّ الإلَهَ يُنْقِذُ ممَّا ... أنا فيه فإنَّني كالأسيرِ
ليتني مِتُّ يومَ فارقْتُ أهلي ... وبلادي وزُرْت أهلَ القبورِ

(١) البَمُّ: الوتر الغليظ من أوتار العُود، ويقابله في العُود الحديث العُشَيْران، والزِّير: الدقيق من الأوتار وأحدُّها، ويقابل البَمّ في العُود. ينظر «المعجم الوسيط».

قال: فلمَّا قدمنا على يزيد أخبرناه خَبَرها، فأرسل إلى مولاها، فاشتراها بمئة ألف درهم، فلما قَدِمَتْ عليه حَظِيَتْ عنده، وبعثَتْ إلينا بالهدايا والألْطَاف[1].

وقوله: يا بيت عاتكة، ما أرادَ عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وإنما أرادَ عاتكة أخرى يقال لها: أمّ جعفر، كانت عفيفةً صالحة، شبَّبَ بها الأحوص، وقفت عليه يوماً وهو في نادي قومه، فقالت له: اقضِ ثمنَ الغنم التي اشتريتَ منّي. فقال: واللهِ ما أعرفُكِ ولا رأيتُكِ قبل اليوم! فقالت لقومه: خوِّفوه من الله تعالى. فكرَّرَ الأَيمان أنه ما رآها قبل اليوم، فكشفَتْ وجْهَها وقالت: يا عدوَّ الله، فأنا عاتكة[2] التي شَبَّبْتَ بي وفضحتَني في شعرك. فانكسر الأحوص، وبرئت المرأة.

وقال الرِّياشيّ: كتبَ الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من دَهْلَك:

وكيف تَرَى للنومِ طَعْماً ولَذَّةً ... وخالُك أَمْسَى مُوثَقاً في الحبائلِ
فمَنْ كان أمسى سائلاً عن شماتةٍ ... ليشمتَ بي أو شامتاً غير سَائلِ
فقد عَجَمَتْ[3] مني الحوادثُ ماجداً ... صَبُوراً على غَمَّاءِ تلك البلابلِ
إذا سُرَّ لم يَفْرَحْ، وليس لِنَكْبَةٍ ... أَلَمَّتْ به بالخاشعِ المتضائلِ[4]

وقال جعفر بن سليمان: ما سمعتُ بأشعرَ من القائل:

إذا رُمْتُ عنها سَلْوةً قال شافعٌ ... من الحُبِّ ميعادُ السُّلُوِّ المقابِرُ

فقيل له: بلى، الأحوص، حيث يقول:

سيَبْقَى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا ... سَرِيرَةُ وُدٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ[5]

---

(١) ينظر «الأغاني» ٢١/ ١٠٨ـ١٠٩ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ١٣/ ٢٧٨ـ٢٨٠ (وليس لديّ ترجمة الأحوص في «تاريخ دمشق») وأورد ابن عساكر القصة أيضاً في «تاريخه» ١٩/ ٦٠٣ (مصورة دار البشير) في ترجمة أم سعيد شاعرة حجازية. ونقل أبو الفرج بإثر القصة عن مصعب الزبيري قوله: أظنُّ القصة كلَّها مصنوعة.

(٢) في «الأغاني» ٦/ ٢٥٨ (والخبر فيه بنحوه): أنا أمُّ جعفر.

(٣) أي: اختبرت وامتحنت.

(٤) ينظر «الأغاني» ٤/ ٢٤٧ و٩/ ٦٥ـ٦٦ .

(٥) الأمالي لأبي علي القالي ٢/ ١٦٦ . وفي «الأغاني» ٤/ ٢٤٨ أن عمر بن عبد العزيز ذكر بيت الأحوص هذا ثم قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول. قلتُ: وقد قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾. وقال أيضاً: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾. ومن قوله: وكان سنُّه ثمانياً وثلاثين سنة (قبل ست صفحات)... إلى هذا الموضع، ليس في (ص).